فيه رواية محمد بن السائب الكلبي عن ابن عباس وقد علمت مما ذكرناه في المقدمة حال ابن السائب الكلبي وضعفه وقلة ثقة العلماء بمرويا ته

هذه كتب التفسير التي نقرأها اليوم وان كان قد فاتنا ذكر شيء منها فانه لا يخرج عن مضارعة واحد من هذه الكتب التي ذكرناها فلم يبق بيدنا ما يصح الاعتماد عليه والثقة به غير تفسير ابن جرير وهو الحسنة الوحيدة لمطابع الاسلامية بعد قرون واكثر من ظهور المطابع في الممالك الاسلامية ولولا ان بعض امراء الاعراب من سكان الجزيرة العربية راسل بعض تجار الكتب بمصر في شأنه واعانه على ذلك بمساعدات جليلة لم يظهر له ظل في عالم المطبوعات اكتفاء عنه بالخازن والجمل . اه

الاستشفاء بالموسيقى

ملخصة من مقالة في المجلة البارزية

قال افلاطون : لم يبعث الارباب فن الموسيقى لادخال السرور على البشر واللذة على حواسهم بل لتسكين اضطرابات نفوسهم وتهدئة تلك الحركات المشوشة التي لامندوحة لجسد ملئ بالنقص عن الشعور بها . فجعل الاطباء قديمًا وحديثًا هذه الكلمات نصب اعينهم عرف ذلك من ثباتهم على المحاولة في شفاء مرضاهم بالانغام فاستعملوا الموسيقى لشفاء او تخفيف الصرع والسوداء والاوب (النزاع الى الوطن) والخبل وضيق الصدر والهوس والجنون والبلادة والسير والتكلم في حال النوم والخدر والنقطة والهستريا والسكتة والفالج والسرسام وداء الاعصاب والحميات والتفرس وعرق النسا والرثية « روماتيزم » والطاعون والحميرا، والكلب وغيرها كما استعملوها لشفاء الجروح والقرصات السامة ولتقوية الهضم والتنفس وترشيح الاخلاط فللموسيقى اهمية في الطب وتستخدم للتمريض .

كانت تعم في القديم معرفة فنون الشعر والموسيقى والطب لشخص واحد . يقول الين (الكاتب اليوناني من اهل القرن الثالث) ان تربياندر وتاليت وترتي كانوا اطباء موسيقيين واوصى كسينوكرات وابقراط واسكليبيادس وكاليين وارتي وسليوس اورليانوس وتيوفراست باستخدام الموسيقى في عدة امراض عند ما تنقطع الحيلة من العلاج في بعض الادواء . وكان الاحياء والاموات يستعملون ادوات الطرب . قال مونارك ان القدماء كانوا يسمعون المحتضرين بعض الالحان وربما اسمعوها من قضوا نحبهم لعلهم تعود الحياة اليهم . وقال سليوس اورليانوس ان فيثا غورس كان اول من استعمل الموسيقى في شفاء الامراض وانه جرب ذلك في بلاد اليونان . وقال بورهاف (١٦٦٨ — ١٧٣٨) لا بأس بنسبة جميع الخوارق التي رويت

عن الرقيات والاشعار في شفاء الامراض الى الموسيقى التي كان قدماء الاطباء يجيدونها

استعملت الموسيقى في عصرنا لمعالجة عامة الامراض فاصدر بونابرت امره الى اجواق موسيقى كتائب جيش الشرق ان تصدح كل يوم تحت نوافذ المستشفيات ولا تزال اجواق الموسيقى العسكرية الى اليوم في كثير من الحاميات في الولايات تذهب مرة او مرتين في الاسبوع لتنغم بابواقها امام مرضى الجند .

ولقد عزمت احدى جمعيات الاحسان في انكلترا على تحقق تأثير الموسيقى في تسكين الآلام الطبيعية والادبية في كثير من الاسقام فالفت من مرضى الموسيقيين عصابة تقوم في مكان خاص بها تتناوب العمل فيه ليل نهار لتنقل الانغام الموسيقية بواسطة اسلاك التلفون الى قاعات مخصوصة من كل مستشفى كبير في لندرا . فاسفر ماجرى من التجارب في هذا الشأن حتى الآن عن نتائج مهمة . واقل مانجم من الفوائد ان اخذ المضطربون من المرضى ينامون ملء جفونهم واستراحوا من التشويش والتبلبل

وتألفت في سان بطرسبورغ جمعية من النساء المريضات لتصدح كل يوم بالقرب ممن اجريت لهم العمليات بالانغام الموسيقية صوتية كانت او آلية فثبت ان درجة حرارتهم كانت تنزل وان آلامهم تخف . ومثل ذلك جرب في مستشفى بلندن بانكلترا . والكنجة هي الآلة المستعملة في الاكثر . واحسن الآلات استعمالا في حال الارق علبة موسيقية بسيطة تدور بحركة ساعة دقاقة او بمحرك كهربائي . بيد ان تأثير الموسيقى في المرضى يحتاج الى درس طويل اذا اخذ بمجموعه لا على التعيين

نشر احد اطباء الالمان كراسة في فعل الموسيقى في التنفس فقال انها اذا اضعفت الاصحاء فهي تسكن حواس المرضى وانها لتنفع في اوجاع الرأس والدوار والاغماء . واستشهد على ذلك بامرأة كان صوت الارغن يضيع رشدها فيعروها جذب وكانت تلك الآلة بعينها تحدث نفس التأثير في فتى ظنياني كان مصابا بالمدودة الوحيدة . ذكر روسو الفيلسوف ان كاهناً كان اذا سمع صوت الارغن يتأثر حتى ليضطر الى مغادرة الهيكل وعلى العكس في رجل من قومه كان يستولي عليه وهو في حالة السماع ضحك عصبي يستلزم اخراجه من الكنيسة

لاحظ الطبيب المشار اليه ان الموسيقى تعدل سير الدم وتحسن حالة التنفس فاذا كانت الانغام الموسيقية حادة بهجة تبرق العين وتزيد حمرة الوجه و يسرع ضرب النبض وتقو حرارة الجسد و يضرب القلب و يسهل الهضم واذا كانت الانغام الموسيقية كئيبة وبطيئة تحدث للعين غشاوة و يصفر الوجه وتقل رطوبة الجلد و يزداد تواتر الدم الى القلب و يضعف ضرب النبض و يقل التنفس و يطول

قال وتفعل الموسيقى في المجموع العضلي فيها يتحمل الجنود الشدائد والمتاعب فتتضاعف قوتهم عند ما يباشرون القتال وتؤثر ايضاً في التهييج العضلي فانك ترى الناس يرقصون من الليل و يطيلون الرقص وما كانوا ليقوموا بهذه الرياضة لولا سماع الانغام. فالمرأة مهما بلغ من لطف مزاجها وتأثرها من اقل تعب يناقلها يهون عليها الرقص ساعات على صوت آلات الطرب . ثم ان الملاح والمعدن والبحري يتغنون عند ما يقومون باعمالهم الصعبة

يحب صاحب المزاج الدموي من الموسيقى ما افرح وجاز على السمع وكان طبيعياً في الوضع . ويفضل السوداوي من الموسيقى الشديد النغمي العالي . ولا يحب البلغمي شيئاً من انواع الموسيقى . اما اهل الدعة والسكون والعلماء فلا يجيدون الشعر ولا يحسنون صنعة الغناء . على ان في هذا القول نظراً لان القول بان المزاج الفلاني لا يقبل النغم الفلاني هو ناشيء لا من المزاج فقط بل من الوراثة والمحيط والتربية ولقد عرفت علماء لا يرتاحون للموسيقى ورأيت من لا يفضلون شيئاً عليها وشهدت من يتوفرون عليها و يعتدلون في سماعها

وضع الطبيب المنوه به ست قواعد لاستعمال الموسيقى في شفاء الامراض اولها انه كما كانت الموسيقى طبيعية واعربت عن اللغة الطبيعية في الفكر تؤثر في النفوس كثيراً ولا سيما في نفوس من لم يتعلموا التعليم الكافي . ثانيها لما كان لكل بلاد انغامها الخاصة بها فان الموسيقى تؤثر في الروح كلما قربت من هذه الانغام . ثالثها ينبغي ان تكون الموسيقى متناسبة مع درجة تأثير الموضوع . رابعها ينبغي ان يحدث تأثير الموسيقى ببطء فيبدأ مع السوداويين باستعمال الحان يتدرج فيها من الخفيف الى القوي و يستعمل من الالحان الشديد امام اصحاب النفوس الغضبية . خامسها اختيار الآلات المستعملة للغاية التي تطلب فصاحب المزاج السوداوي يرتاح لسماع الطبل والبوق ذي الانبوبتين Trombon وكذلك المزمار والعود يناسبان مزاجه . سادسها تطرب الموسيقى الطبقات العالية اكثر مما تؤثر في الطبقات النازلة

ومن رأي هذا الطبيب ان الموسيقى تشفي صاحب السويداء كما تزول بها الكآبة والحزن وتبعد الخوف . ولقد اجمع الفلاسفة على ان شيئين اذا عادلا ثالثاً يكونان هما متعادلين فاذا كانت الموسيقى نافعة في ازالة الكدر والسويداء فالكدر والسويداء هما في الحقيقة شيء واحد . فان ابقراط حدد السويداء بانها الكدر والخوف

وهنا اورد صاحب المقالة حوادث من التاريخ في اوربا ولا سيما في فرنسا تدل على ما للغ من الانغام في مداواة بعض الاسقام ولا سيما الجنون والاختلال وداء الكآبة مما دل على انه احاط بالموضوع من جميع اطرافه وقلبه درساً واطلاعاً . ثم قال ان الاسلام انتفع من تأثير

الموسيقى لتحريض اشياع الحسين التشهيد على الجذب والتهييج وذلك بقرع الطبول المتواتر على ايقاع متساوق سريع فيردد الشيعة على نغم الطنبور الحانًا مقفاة حتى ينتهي الحضور بان لايعودوا يتأثرون للضرب ولا للجرح. وكذلك الحال في دراويش الهند فانهم يستعملون كلمة واحدة ويكثرون من ترديدها فتؤدي بهم الى الجذب مصحوبًا بقلة التأثر.

وبعد ان افاض في ايراد حوادث القدماء واخبار عنايتهم بالموسيقى في شفاء بعض الامراض قال ان مراد الرابع (١٦٢٣) اثرت فيه الموسيقى فعقد النية على ان يبقي على اخوته الذين كان ينوي اهراق دمهم وان فرنسيس الاول بعث الى سليمان الثاني بجوق من الموسيقى فلاحظ هذا ان شراسة خلقه لطفت بسماع الحانهم فاسف من جراء ذلك كثيرًا ولم يلبث ان طرد للحال جميع الموسيقيين من حضرته

وجملة القول ان الموسيقى تؤثر في الدورة الدموية في الانسان والحيوان ويزيد بها ضغط الدم وينقص وتتبع هذه التقلبات تأثير تهييج الاعصاب السمعية . وان آلات الطرب والصفير ليظهر فعلها بتحسن في تشنج القلب خاصة . وتغيير الدم الناتج من تأثير الموسيقى يناسب تحول التنفس وان كان يتجلى ذلك مستقلا عن تحول التنفس . يزيد الستركنين (١) في تأثير التهييج السمعي في الدورة الدموية والكورار على العكس يضعفه

والكلورال (نوع من المخدرات) والالكحول والافيون تضعف ايضًا تأثير التهييج السمعي في الدورة الدموية وتغيير الدورة الدموية تابع لارتفاع الصوت وشدته بل لارتفاع الجرس ونزوله . ولتغير الدورة الدموية دخل كبير في ذاتية الحيوان والانسان ولا سيما في جنسية الانسان وتابعيته

وعلى من اراد الوقوف على تأثير الموسيقى في احد اعضاء الجسم سليمًا كان او سقيمًا ان يفرق بين العناصر التي ينبعث منها ذاك التأثير . فالمزج واللحن والايقاع تؤثر تأثيرات مختلفة بحسب تركيبها وتلحينها . وفي الختام نقول ان الاستشفاء بالموسيقى قديم العهد وقد ظل محتفظًا باهميته العلمية والعملية على حالة واحدة رغم اختلاف العصور

---

(١) الستركنين سم شديد مستخرج من الجوز المقيء والكورار سم نباتي شديد يستعمله الهنود في تسميم السهام